مسالك النقد اللغوي

المصدر الصناعي

الأستاذ صلاح الدين الزعبلاوي

المصدر الصناعي ، كما أسمي عند المتأخرين ومجمع اللغة العربية في القاهرة ، هو اسم المعنى الذي صيغ من الكلمة بإضافة ياء النسبة وتاء النقل ، للدلالة على معنى المصدر وحقيقته المطلقة — دون حدثه — أو التعبير عن الحال والهيئة الحاصلة بالمصدر : كالخصوصية والوحدانية والكمية والكيفية والإنسانية والحيوانية والفاعلية والمفعولية . وجاء في مجلة المجمع القاهري (١ / ٢١٥) : (إذا أريد صنع مصدر من كلمة يزاد عليها ياء النسب والتاء) .

وقد عرضنا في كتابنا (أخطاؤنا في الصحف والدواوين) المطبوع عام ١٩٣٩ للمصدر الصناعي في ردّنا على من عاب استعمال لفظ (المسؤولية)،

فذكرنا أن قياسه يعتمد على ماجاء منه عن العرب ، كالعبدية والعبودية والحرية ، والحرورية واللصوصية والخصوصية ، بفتح الأول وضمه في الألفاظ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الثلاثة ، والوحدانية والربوبية ... وقد حكي عنهم (المولوية) صفة المولى ، و (الأوليّة) صفة الأول ، كما روي (الألمعية والأريحية) . قال ابن سيده في المخصص (وشيخ بين الشيخوخية ..) وقال (.. ووليدة بيّنة الولادة والوليدية) ، وجاء في التاج (الوُلودية) وحُكي فيها ضم الواو وفتحها . فكان بطرد ذلك والقياس عليه ما لا يحصيه عدّ من مصطلحات الفلسفة ومواضعات مختلف العلوم .

وقد بحث هذا المرحوم الأب أنستاس ماري الكرملي في مجلة مجمع اللغة العربية لآذار ونيسان من عام ١٩٣٧ . فاعتلّ لقياس صياغته بما جاء في شرح ديوان المتنبي للعكبري ، حول انتقاد سيف الدولة بعض أبيات المتنبي ، وقول المتنبي : (والحائك يعرف جملته وتفاريقه ، لأنه هو الذي أخرجه من الغزليّة إلى الثوبيّة) . إذ صاغ الشاعر (الغزلية والثوبية)، وقد خلت منهما المعاجم ، فدل بهما على حال الثوب وحقيقته وهو (غزل) قبل أن ينسج ، والهيئة الحاصلة له بعد النسج .

وقال ابن جني في سر الصناعة (١/١٨٧) : (وكذلك تاء تجفاف ، لولا الاشتقاق لوجب القضاء بأصليّتها)، فصاغ (الأصليّة) من الأصل، كما صاغ المتنبي (الثوبية والغزلية) من الثوب والغزل .

وجاء في نهج البلاغة (١/١٩٤) : (الأول قبل كل أول ، والآخر بعد كل آخر ، بأوليته وجب أن لا أول له ، وبآخريته ، أن لا آخر له) . فجاء بـ (الآخريّة) على قياس (الأوّليّة) .

وجاء فيه (٢/٨١) : (ليس لأوليّته ابتداء ولا لأزليّته انقضاء . هو الأول لم يزل ، والباقي بلا أجل) . فكأنه يشير إلى أن (الأزلية)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اسم مصدر من قولك (لم يزل) . قال الجوهري في صحاحه (الأَزَلُ بالتحريك القِدَم ، يقال للقديم أزلي ، ذكر بعض أهل العلم أن أصل الكلمة قولهم للقديم لم يزل ، ثم نسب إلى هذا فلم يستقم إلا باختصار ، فقالوا : يَزَلِيّ ، ثم أبدلت الياء ألفاً لأنها أخف ، فقالوا : أزلي ، كما قالوا في الرمح المنسوب إلى ذي يزن أزَنيّ) .

وفي نهج البلاغة أيضاً (٢/١٤٥) : (ولا يوصف بشيء من الأجزاء ولا بالجوارح والأعضاء ولا بالغيرية والأبعاض) فأتى بـ (الغيريّة) اسم مصدر من (الغير) .

هذا وقد استعمل الامام أبو علي المرزوقي في كتابه (شرح ديوان الحماسة) : (الفتيانيّة) ، وهو اسم مصدر صناعي من (فتيان) . وفتيان اسم قبيلة والنسبة إليه (فتياني) . قال صاحب التاج (بنو فتيان أيضاً قبيلة منها أشجع ، وهو فتيان بن سبع بن بكر بن أشجع)، وأردف : (وفي بيت المقدس جماعة يعرفون بالفتيانيين ، فلا أدري أهم من بجيلة أو أشجع ، أو نسبوا إلى جدّ لهم يقال له فتيان) .

وجاء في شرح الحماسة للمرزوقي (وقال آخر :

أفي الحق أني مغرم بـــك هائم وأنـك لا خلّ هواك ولا خمر
فإن كنت مطبوباً فلا زلت هكذا وإن كنت مسحوراً فلا برأ السحر)

قال المرزوقي : (وهو مطبوب أي مسحور ، ومعنى البيت : إن كان الذي بي وأقاسيه داءً معلوماً يعرف دواؤه ، فلا فارقني فإني التذّ به ، وهذا هو : الفتيانية ، والهوى والتجلد على البلاء) .

فتبين بهذا أنه قصد بـ (الفتيانية) : ذهاب المحب على وجهه ، عند

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

غلبة الهوى عليه ، وصبره على المعاناة مهما اشتدت به الحرقة وبرح به السقم. ويبدو أنه اشتهر من (الفتيانيين) من عرف بذلك فذهب أمره مثلاً . وقد تحمل (الفتيانية) على أنها نسبة إلى (فتيان) جمع (فتى) ، كما ذهب بعض الأئمة إلى استعمال (الصبيانية) نسبة إلى (صبيان) جمع (صبي) ، ولا يخفى أن الكوفيين قد أجـــازوا النسبة إلى الجمع . قال أبو منصور الثعالبي في فقه اللغة (٢٨١) : (فإن مد يده نحو الشيء كما يمد الصبيان أيديهم إذا لعبوا بالجوز فرموا به في الحفرة فهو السّدْو . والزّدْو لغة صبيانية في السّدو) . قال المرحوم الدكتور مصطفى جواد في كتابه (المباحث اللغوية في العراق) : (قال صبيانية لأنها مختصة بمجموع الصبيان ، ولم يقل صبوية) . والرأي عندي أن ينسب إلى الجمع كلما كانت النسبة إليه انهض بالمعنى المراد ، وألصق بالدلالة المعنية .

وما أظن المرزوقي أراد النسبة إلى الجمع ، وإنما أراد الاضافة إلى اسم العَلَم ، ولو نسب إلى الجمع لأشار إليه واعتل له ، كما هو مذهبه .

وقد عاب الأب الكرملي على مجمع القاهرة تسمية الصيغة بـ (المصدر الصناعي) فآثر عليها (المصدر المصنوع أو الموضوع أو المصوغ) . ثم أخذ على المجمع قوله : (إذا أريد صنع مصدر من كلمة يزاد عليها ياء النسب والتاء) ، فقال : (وتسمى تلك الياء ياء المصدر ولا تقل ياء النسب ، فإذا تم ذلك سميت الكلمة بالمصدر الياني ، وسمي كذلك لاختتامه بالياء المذكورة ، وهي التسمية التي جرى عليها أصحاب الفن) .

وانتقد الدكتور مصطفى جواد على مجمع القاهرة تسمية الصيغة بالمصدر فقال : (قلت إن تسميته بالمصدر غير صحيحة لأن المصـــدر يعمل في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاعراب كعمل فعله ، وهذا لا يعمل ولا فعل له في الغالب ، كالانسانية والجاهلية . والتحقيق أنه اسم ياتي أو اسم نسبي أو اسم صناعي ، وكل هذه الأسماء الثلاثة تصح عليه ، دون اسم المصدر الصناعي ، ثم إن لفظ الصناعي في العصر الحاضر اختص بالصناعة الحديثة) .

والرأي عندي ما سبق إلى بيانه المرحوم الشيخ أحمد الاسكندري في مجلة المجمع القاهري (٢١٤/١) ، إذ قال : (ويظهر أن تسمية هذه المصادر بالنظائر عند أوائل النحاة ، كما يقول ابن سيده ، لم تشتهر عند المتأخرين وأهل زماننا ، فسماه بعضهم بالمصدر الصناعي وذاعت هذه التسمية. إذ لو سمي بالمصدر الياتي لم يُفد المراد لأنه لم يتكون بزيادة الياء وحدها ، بل بزيادتها مع تاء النقل مجموعتين . وأيضاً فإن قولنا المصدر الياتي يوهم أن المراد الياتي المقابل الواوي . ولا غبار على تسميته بالمصدر الصناعي ، أي المنسوب إلى الصناعة من ناحية من نواحيها ، فهي بمعنى المصنوع ، فيكون نظير قولهم المصدر القياسي ، بمعنى المقيس ، والمصدر السماعي ، بمعنى المسموع) .

على أني أستحب على (المصدر الصناعي) : (اسم المصدر الصناعي) . فإذا كان بعض الأئمة قد أسمى هذه المصادر بـ (النظائر) كما نقله الشيخ أحمد الاسكندري عن ابن سيده ، فقد أسماها آخرون بـ (أسماء المصادر) أيضاً . قال صاحب المزهر (١١٣/٢) : (وقال أبو عبيد في الغريب المصنف : باب أسماء المصادر التي لا يشتق منها أفعال ، هو رجل بيّن الرجولة ، وراجل بيّن الرجلة ، وحر بين الحرية والحرورية .. وعربي بين العروبية ، وعبد بيّن العبودة والعبودية) . وبعضد هذا ويسدده أن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأئمة قد اصطلحت على تسمية اسم المعنى الذي يدل على الحال أو الهيئة الحاصلة بفعل المصدر بـ (اسم المصدر) ، كما أسمت اسم المعنى الذي ليس له فعل يجري عليه بـ (اسم المصدر) أيضاً . ففي الجاسوس على القاموس : (الفرق بين المصدر والاسم أن المصدر يتضمن معنى الفعل فينصبه مثله ، والاسم هو الحال التي حصلت من الفعل ..) . وقال ابن الحاجب في أماليه ، على ما حكاه السيوطي في الأشباه والنظائر (٢/١٨٥) : (اسم المصدر هو اسم المعنى ، وليس له فعل يجري عليه) . فتبين بهذا أن قولنا (اسم المصدر الصناعي) أسوغ من (المصدر الصناعي) وألصق بما يتميز به (المصدر) من (اسمه) . ففي التاج : (ويقال الخصوصية والخصية والخاصة : أسماء مصادر) . وفي اللسان (والاسم : الخَصوصية والخُصوصية والخصية والخاصة والخصيصَى ، وهي تمد وتقصر) .

أما قول الأب الكرملي أن الياء المزيدة في (اسم المصدر الصناعي) هي ياء المصدرية ، لا ياء النسب ، فإنه أمر اعتباري . ذلك أن أكثر أسماء المصادر الصناعية قد تحولت في الأصل عن أسماء منسوبة أنزلت منزلة الصفات المشتقة الدلالة على حال الموصوف وهيئته واستعملت كذلك ، نحو قولك : (هو إنساني أو حيواني أو كمي أو كيفي أو جزئي أو كلي). فاذا أريد التعبير بها عن جوهر حال الموصوف ومجرد حقيقته ، أحيل الوصف إلى اسم مصدر صناعي ، بإلحاق تاء النقل من الوصفية إلى الاسمية ، نحو قولك (الانسانية أو الحيوانية أو الكمية أو الكيفية أو الجزئية أو الكلية) . فحق بهذا أن تسمي الياء ياء النسب ، وعليه قول الأئمة . قال ابن سيده (فأما النظائر عندهم فما جرى على وجه النسب) . وقال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صاحب الكليات (والكيفية اسم لما يجاب به عن السؤال بكيف ، أخذ من كيف بإلحاق ياء النسبة وتاء النقل من الوصفية إلى الاسمية ، كما أن الكمية اسم لما يجاب به عن السؤال بكم . بإلحاق ذلك أيضاً) .

على أن لك أن تسمي (الياء) ياء المصدرية إذا كان الأصل الذي تحوّل عنه اسم المصدر الصناعي صفة مشتقة كـ (فَعول وفاعل ومفعول) . ففي التاج (خصّه الشيء خصوصية بالضم والفتح أفصح .. ثم قالوا : الياء فيها إذا فتحت للنسبة ، فهي ياء المصدرية كالفاعلية والمفعولية ، بناء على خَصوص ، فعول ، للمبالغة في التخصيص) . أي أن فتح الأول في (خصوصيَّة) يجعله على زنة (فَعول) التي للمبالغة ، فإذا لحقتها الياء المشددة فهي ياء المصدرية ، لأنها أحالته من معنى الوصف إلى معنى المصدر . قال صاحب الكليات (والخُصوصيّة بالفتح أفصح ، وحينئذٍ تكون صفة ، وإلحاق الياء المصدرية لكون المعنى على المصدرية والتاء للمبالغة) وعليه صاحب الفروق .

فإذا ضُمّت الخاء كانت على (فُعول) ، وهي زنة لمصدر ، فإذا لحقت بها الياء المشددة ، كانت ياء النسبة لأنها أحالت المصدر إلى اسم منسوب بمعنى الوصف المشتق . قال صاحب الكليات (وإذا ضُمّ يحتاج إلى أن يجعل المصدر بمعنى الصفة ، والياء للنسبة ، والتاء للمبالغة) . وعليه صاحب الفروق .

وشيء آخر : فقد قال الشيخ أحمد الاسكندري بعد حكاية ابن سيده : (وأنت تراه قد نقل عن أوائل النحاة تسمية هذه الهيئات والأحوال المصدرية باسم النظائر ، وأن هذه الأحوال عبّر عن معناها بزيادة ياء النسب على المصادر الأصلية ، وتراه يقول : هذا غير مستعمل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في لغة العرب ، مع أنه ورد عنهم بضع عشرات من الكلمات سنذكر شيئاً منها ، فلعله يريد أنه نادر الوقوع ، إذ إن العرب لم تكن تريد من هذه المصادر المصنوعة بزيادة الياء والتاء كل ما يريد أرباب التدقيق الفلسفي) .

وقال الشيخ الاسكندري : (وتراه لم يتعرض لتكوين اللفظ المصدري من النسبة إلى أسماء الأعيان أو الأسماء المشتقة أو الأسماء التي تؤدي مؤدى الأدوات مثل : كيف وكم ومع . في قولهم الخشبية والذهبية والفاعلية والمفعولية والظرفية والكيفية والكمية ، كما تعرّض لذلك غيره) .

أقول إن ابن سيده قد قصّر كلامه على إلحاق الياء المشددة والتاء بالمصدر أو اسم المعنى الذي يشبهه ، ولعل هذا ماتعنيه (النظائر) . وقال : (وهذا غير مستعمل في لغة العرب) . وكلامه صحيح لا غبار عليه . قال ابن سيده : (فأما النظائر عندهم فما جرى على وجه النسب ، وهذا غير مستعمل في لغة العرب ، إنما يقولونه بوسيط كقولهم : فعل ذلك على جهة العدل ، وعلى جهة الجور ، وعلى جهة السهو ، وعلى جهة الخير ، وعلى جهة الشر . ولا يقولون : على العدلية ولا على الجورية ولا على الخيرية ولا على الشرّية) . وحقيقة الأمر أنه لا معنى لالحاق الياء والتاء بالمصدر إذا كنت تبغي معنى المصدر وحسب . فإن اتخاذ (العدلية) بمعنى العدل ، و (الجورية) بمعنى الجور ، على ما مثل ابن سيده ، غير سائغ ولا متقبل . فالعرب لم تجْرِ به ، واللغة تأباه وتعافه ، ومن ثم لا يسعك إلا استغرابه وقضاء العجب منه ، لأنه عبث لا طائل وراءه . وهذا ما دفع الاسكندري أن يقول (أو أن العرب لم تكن تريد من هذه المصادر المصنوعة بزيادة الياء والتاء كل ما يريد أرباب التدقيق الفلسفي) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لذلك كان الأصل في إلحاق الياء والتاء بالمصدر أو اسم المعنى عامة أن تزيد في معناه شيئاً كالمبالغة مثلاً . وقد صرح الشيخ الاسكندري ، هو نفسه ، بذلك فقال : (وإذا أريد التعبير عن هذه الأحوال بلفظ الجنس فقط بلا ضميمة أخرى تشير إلى إرادة شيء آخر غير مطلق الحدث أو ذات العين ، تخلّف التعبير أحياناً عن إفادة المعنى الزائد على مطلق الحقيقة) . وهو كلام ظاهر الاستقامة . فإذا أحلت المصدر الأصلي مثلاً ، إلى اسم مصدر صناعي ، فأنت تفعل ذلك ابتغاء زيادة في معناه أو خصوصية في دلالته ، وهذا أسلك في طريقة العربية ، بل هذا هو خاص اللغة وسرّها .

فـ (الانتاج) مثلاً مصدر . فإذا أحلته إلى اسم مصدر صناعي فقلت (الانتاجية) كما يقولونه اليوم ، فلا بد أنك قد أردت به شيئاً آخر لا يمكن التعبير عنه بمجرد لفظ (الانتاج) . كأن تعني به مثلاً : (خيصب الانتاج) أو (قوته وشدته) أو (مبلغه) أو نحو ذلك . فإذا قال العرب (فعلت هذا على جهة العدل) ولم يقولوا (العدلية) فقد أصابوا وجه الرأي لأنهم لا يريدون بقولهم غير المعنى المصدري وحسب ، فلا حاجة بهم إلى صوغ اسم مصدر يعني معناه ويُغني مغناه .

أما قول الشيخ الاسكندري (وإذا أريد التعبير عن الأحوال بلفظ الجنس فقط بلا ضميمة أخرى تشير إلى زيادة شيء آخر غير مطلق الحدث أو ذات العين) ، فلا ينبغي أن يراد بـ (مطلق الحدث) فيه : إيقاع الفعل . ذلك أن اسم المصدر الصناعي لا يُبتغى به إيقاع الفعل ، كما يقصد بالمصدر ، وإنما يراد به مطلق معناه مجرّداً عن الحدث ، مع زيادة .

وإذا كانت (الخصوصية) بضم الخاء قد تحولت من المصدر أي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(الخصوص) إلى اسم المصدر الصناعي بإلحاق الياء والتاء ، فلا شك أنها غدت تدل على معنى (الخصوص) وزيادة . وقد أشار الأئمة إلى هذا حين قالوا : التاء فيه للمبالغة ، ذلك ما قالوه في توجيهه .

هذا وقد منع الدكتور مصطفى جواد في كتابه (دراسات في فلسفة النحو والصرف) صياغة اسم المصدر الصناعي من (الحياة) فقال : (أما الحياة فاسم غير مستغرق في الإسمية ، فيجب أن يستعمل على حاله الأصلية ، إذا أريد به حاق معناه الأصلي ، وإذا أريد غير ذلك جيء بالاسم الدال على التعبير ونسب إلى الحياة فيقال : القوة الحيوية للغة) والجواب عن ذلك أننا إذا أردنا مجرد المعنى المصدري غير وقوع الحدث ، لم نقل (الحيويّة) . لكن إذا ابتغينا أن نجمع إلى الدلالة على حال الحياة ، طبيعتها وجوهرها ، من حيث استمرار حركتها وتدفق أحداثها وتجدد صورها ، قلنا (الحيوية) وكلما ابتغينا مثل هذه (الزيادة) من معنى المصدر ، لحاجة في التعبير ، كان لنا أن نصوغ منه اسم المصدر الصناعي . فقد قال الكتاب (اتفاقية) اسم مصدر صناعي من (الاتفاق) ، وعنوا به (العُهدة أو العهد أو العقد) فزادوا في معنى (الاتفاق) . و (العُهدة) كما قال ابن سيده في المخصص (.. كتاب العهد والشراء ، والعقد العهد والجمع عقود) ! وقد رد الأستاذ محمد المدني (صاحب معجم الأخطاء الشائعة) على من عاب (الاتفاقية) ، فاحتج بأنه (مصدر صناعي) واستدل بما جاء في الجزء الأول من مجلة المجمع القاهري حول قياسه ، ولكنه لم يعرض لفرق مابين (الاتفاق) مصدراً ، و (الاتفاقية) لسم مصدر صناعي ، من معنى ، وهو فرق ليس منه بد ولاعنه منصرف ، لجواز هذه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الصيغة من المصدر . ستقول : ألم يأت الكتاب بـ (الاتفاق) اسماً ويستعملوه فيما استعملوا فيه (الاتفاقية) وينزلوه منزلته ؟ قلت نعم ، وهُوَ مِنْ قبيل (التسمية بالمصدر) ، وقد جمعوه على (اتفاقات) كما استعمل الأئمة (الابتداء) اسماً وجمعوه على (ابتداءات) ، وجمع علماء المنطق (إنتاجاً) على (انتاجات) ، على ما جاء في كتاب : القطوف الدانية ، للشيخ محمد أمين السفرجلاني (٢٨٩) . على أن الأوْلى أن يفرّق في المعنى بين (الاتفاق) المصدر الذي استعمل استعمال الأسماء ، و (الاتفاقية) اسم المصدر الصناعي المسمى به ، فيقصد بالأول (ماتم الاتفاق عليه) ويراد بالثاني (صك ما اتفق عليه) .

هذا وكثيراً ما سمى العلماء (المذاهب الكلامية) بأسماء مصادر صناعية تحولت من (المصادر) كـ (البدائية) و (والعنادية) . وقد يعنون بهذه الأسماء أصحاب المذاهب أيضاً ، على تقدير حذف المضاف . قال الجرجاني في (تعريفاته) : (البدائية هم الذين جوزوا البداء على الله تعالى) . وقال : (العنادية هم الذين ينكرون حقائق الأشياء ويزعمون أنها أوهام وخيالات كالنقوش على الماء) . وهكذا .. وفي علم الكلام وعلم البيان كثير مما جاء على صيغة (اسم المصدر الصناعي) . فمن الأول قولهم : (الأحدية والكونية والقدرية والجبرية والأولية والجمعية والربوبية والعرفية والماهية والغائية ..) . ومن الثاني في علاقات المجاز : (المصدرية والمظهرية والجزئية والكلية والسببية والمسببية والكونية والمحلية والحالية ..) .

فاتضح بضم ذلك كله والتأني له : حالُ (اسم المصدر الصناعي) وقياسه وخاصته ، وشدة الحاجة إليه في التعبير والاصطلاح ، وتحقيق المعاني ، وضبط دقيقها .

صلاح الدين الزعبلاوي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net